الأنباء في ضوء القرآن والسنة

وموقف المجتمع منها قبولًا ورفضًا

إعداد

أ.د. سليمان بن صالح القرعاوي

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية

جامعة الملك فيصل، الأحساء.

المملكة العربية السعودية

١٤١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى، ودين الحق، هاديًا، ورحيمًا، وأنزل القرآن عليه منجَّمًا بشيرًا، ونذيرًا، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.(١)

وامتن على هذه الأمة، التي وصفها بالخيرية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(٢)، ووصفها بالوسطية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾(٣) بخاتم الأنبياء، والمرسلين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.(٤)

والصلاة والسلام على رسوله الأمين، محمد بن عبد الله، أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

لقد كان من فضل الله – تعالى – وإعانته لنا، أن وفقنا في اختيار موضوع عن: «الأنباء في ضوء القرآن والسنة»، وأعاننا على جمع مادته، وصياغته.

وإذا كان القرآن الكريم هو المنهل العذب، والجديد الغض، الذي لا تنقضي عجائبه. أنزله الله – سبحانه وتعالى – ليكون للأمة الإسلامية دستورها الخالد، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، إذا كان القرآن كذلك، فإن من أسرار إعجازه، أن كل جيل من الأجيال، وكل أمة من الأمم، تجد فيه طلبتها، والعلاج الناجع لكل مشاكلها.

---

(١) سورة النساء، آية (١١٣).

(٢) سورة آل عمران، آية (١١٠).

(٣) سورة البقرة، آية (١٤٣).

(٤) سورة آل عمران، آية (١٦٤).

ولهذا كان هذا الموضوع، من الموضوعات البكر، الذي لم يتطرق إليه باحث بهذه الشمولية والإحاطة.

ولا ننكر أن الكثير من علماء الأمة بعامة، وعلماء التفسير بخاصة، قد تناولوا آيات الأنباء بالتفسير والتأويل، متفرقات غير مجتمعات، ومنفصلات غير مترابطات، أما بهذه الصورة المتكاملة والمحيطة بكل جزئياته، فنحسب – والله عليم خبير – أننا لم نسبق إليه.

نرجو من الله – تعالى – أن يكتبه في أعمالنا، يوم تعرض الأعمال، وتجزى كل نفس بما كسبت، وأن ينفع به خاصة المسلمين وعامتهم، إنه سميع قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، هذا وبالله التوفيق.

الأنباء في ضوء القرآن والسنة، وموقف المجتمع منها: قبولًا ورفضًا

ما هو النبأ في ضوء القرآن والسنة؟

أهو الخبر الذي يذاع، وينتشر بين أفراد المجتمع؟

أهو العلم النافع، الذي يثري الحياة، ويطور المعرفة، وينقل المجتمع إلى رحاب الإيمان، والأخلاق؟

أهو القرآن الكريم، حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، ومن قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل؟

إن علماء الأصول يقولون: إن العلم بالشيء فرع عن تصوره، لهذا يطيب لنا أن نقطع رحلة متأنية مع علماء اللغة، وعلماء الشرع؛ حتى يتبين لنا حقيقة النبأ، كما جاء في محكم كتابه، وفي هدي رسوله الكريم- صلوات الله وسلامه عليه -.

أ- تعريف النبأ في اللغة:

يقال: نبأ الشيء، نبئًا، ونُبوءًا: ارتفع، وظهر، ونَبَأ على القوم: طلع عليهم، وهجم، وأنْبأه الخبر، وبالخبر: أخبره.

وتنبَّأ: ادعى النبوة، وتنبأ بالأمر: أخبر به قبل وقته.

والأنباء: جمع نبأ، والنبأ الخبر، يقال: نبأ وأنبأ، أي: أخبر. (١)

فيتضمن النبأ، معنى الخبر، يقال: أنبأته بكذا، أي: أخبرته به، ويتضمن- أيضًا - معنى العلم، يقال: أنبأته كذا، أي: أعلمته كذا.

ب - تعريف النبأ في الاصطلاح:

النبأ: خبر له قدر كبير، وشأن خطير، يحصل به علم، أو غلبة ظن، ويترتب عليه أثر عظيم. والنبوءة : الإخبار عن الشيء قبل وقته، حزرًا وتخمينًا، وسمي النبي نبيًّا؛ لأنه يُنبئ عن الله- عز وجل- أي: يخبر عنه.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة: نبأ، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٨١.

قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١) وعلى هذا فهو: فعيل، بمعنى فاعل. وقال تعالى: ﴿نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٢) وعلى هذا فهو: فعيل، بمعنى مفعول. وجمع النبي أنبياء، ونباء قال العباس بن مرداس:

يا خاتم النُبَاءِ إنك مرسل ... بالحق كل هُدى السبيل هداكا

والنبوة: سفارة بين الله – عز وجل – وبين ذوي العقول؛ لإزاحة عللهم، في أمر معادهم، ومعاشهم. (٣) وإذا كان الأمر كذلك، فما معنى النبأ في منهج القرآن الكريم؟

معاني النبأ في كتاب الله تعالى

إن القارئ لكتاب الله – تعالى– يرى أن النبأ قد ورد في آياته البينات، على وجوه كثيرة:

الأول: لقد جاء النبأ، بمعنى: العلم، الذي مصدره الوحي، قال الله– تعالى –: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾.(٤)

وكان هذا من علم الغيب، خص به يوسف – عليه السلام – وبيَّن أن الله – تعالى– خصَّه به؛ لأنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله، ويتبعون معتقد الملك؛ لهذا فهو لا يخبر به، تكهنا ولا تنجمًا، بل هو وحي من الله – عز وجل–. (٥)

وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى، واتبع طريق المرسلين، وأعرض عن طريق الضالين، فإن الله يهدي قلبه، ويعلمه مالم يكن يعلم، ويجعله إمامًا يقتدى به في الخير، وداعيًا إلى سبيل الرشاد.

---

(١) سورة الحجر، آية (٤٩).

(٢) سورة التحريم، آية (٣).

(٣) وتبدل الهمزة واوًا وتدغم، فيقال: النبوة، والنبي: المخبر عن الله – عز وجل – تبدل الهمزة ياء، وتدغم، فيقال: النبي.

(٤) سورة يوسف، آية (٢٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٩/ ١٩١.

ومثله: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [١].

أي: لا يقع تصديق لكم؛ لأن الله – تعالى– قد أعلمنا بالوحي، ما هو مناف لصدق اعتذاركم، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾. [٢]

والوحي، أصله في اللغة: إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾. [٣]

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾.[٤]

والعلم الذي يكتسبه الإنسان من النبأ، يأتي على قسمين:

الأول: إدراك ذات الشيء.

الثاني: الحكم على الشيء، بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه.

فالأول: هو المتعدي إلى مفعولٍ واحدٍ، قال تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾. [٥]

والثاني: المتعدي إلى مفعولين، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾.[٦]

وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾. [٧]

إشارة إلى أن عقولهم قد طاشت.

الثاني: يأتي النبأ، بمعنى: التأويل.

---

(١) سورة التوبة، آية (٩٤).

(٢) سورة آل عمران، آية (٤٤).

(٣) سورة المائدة، آية (١١١).

(٤) سورة النحل، آية (٦٨).

(٥) سورة الأنفال، آية (٦٠).

(٦) سورة الممتحنة، آية (١٠).

(٧) سورة المائدة، آية (١٠٩).

قال الله تعالى: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾. (١)

والتأويل: أصله من الأول، وهو الرجوع، ومنه الموئل: للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه؛ علمًا كان، أو فعلًا، ففي العلم نحو، قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ﴾ (٢) وفي الفعل كقول الشاعر:

وللنوى قبل يوم البين تأويل

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ (٣) أي: غايته.

وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٤)، أي: أحسن معنى وترجمة، وقيل: أحسن ثوابًا في الآخرة، ولقد أخبره بأن رحمة الله، هي التي اقتضت هذا التصرف، فهو أمر الله – تعالى – لا أمره؛ لأن الله – تعالى – هو الذي أطلعه على الغيب، وأمره أن يعيب السفينة، ويقتل الغلام، ويقيم الجدار.

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾؛ لهذا جاء الخبر، عن طريق التأويل، وانكشف الستر عن حكمة ذلك التصرف، كما انكشف عن غيب الله، الذي لا يطلع عليه أحد، إلا من ارتضى، قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى﴾.(٥)

الثالث: بمعنى الخبر، قال الله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.(٦)

أي: أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدّخر له في بيته لغد.

---

(١) سورة الكهف، آية (٧٨).

(٢) سورة آل عمران، آية (٧).

(٣) سورة الأعراف، آية (٥٣).

(٤) سورة الإسراء، آية (٣٥).

(٥) سورة الجن، آية (٢٦ – ٢٧).

(٦) سورة آل عمران، آية (٤٩).

وقال سعيد بن جبير: "كان يخبر الصبيان في الكتاب بما يدخرون، عندها منع الآباء الأبناء من الجلوس معه".

ومثله، قوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾.(١)

أي: أخبركم بشر مما قلتوه، وهو: «ما نعرف دينا شرًّا من دينكم».

إنهم يحاربون المسلمين، منذ أن قام للمسلمين كيان في المدينة، وتميزت لهم شخصية، وأصبح لهم وجود مستقل، ناشئ من دينهم، في ظل منهج الله الفريد.

إنهم يشنون على المسلمين هذه الحرب؛ لأنهم مسلمون، ولا يمكن أن يطفئوا هذه الحرب، إلا أن يردوا المسلمين عن دينهم، فيصبحوا غير مسلمين.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾.(٢)

ويرد المسلمون عليهم بقول الله – تعالى-: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾.(٣)

فمن هم هؤلاء؟ إنهم الذين لعنهم الله، وغضب عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ ﴾.(٤)

أي: أخبركم بأكبر من نقمة أهل الكتاب على المسلمين، وما يكيدون لهم، وما يؤذونهم بسبب إيمانهم، إنها نقمة الله – تعالى- عليهم، حيث جعل منهم القردة، والخنازير، وعبَدَ الطاغوت، و﴿ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾.(٥)

الرابع: بمعنى: التهكم والسخرية.

---

(١) سورة المائدة، آية (٦٠).

(٢) سورة البقرة، آية (١٢٠).

(٣) سورة المائدة، آية (٥٩).

(٤) سورة المائدة، آية (٦٠)

(٥) سورة المائدة، آية (٦٠)

قال الله – تعالى-: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.[1]

أي: نرشدكم إلى رجل، يقول لكم: "إنكم تبعثون بعد البلى في القبور، وهذا صادر عن فرط إنكارهم. لهذا قالوا: "هل ندلكم على رجل، عجيب، غريب، ينطق بقول منكر بعيد، حتى لَيقول: "إنكم بعد الموت، والبِلى، والتمزق الشديد، تُخلقون من جديد، وتعودون للوجود".

وهذا راجع لإنكارهم، القيامة، وقضية البعث، كما قصَّ الله – تعالى – مقولتهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.[2] ثم يمضون في العجب، والتهكم، والاستنكار، والتشهير، فيقولون: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾[3].

الخامس: بمعنى القرآن الكريم. قال الله – تعالى-:﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.[4]

يقول ابن كثير: "أي: خبر عظيم، وشأن بليغ، وهو إرسال الله – تعالى – إياي إليكم. ﴿ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ أي: غافلون".[5]

قال مجاهد، وشريح القاضي، والسدي، في قوله – عز وجل -:﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني: القرآن الكريم.[6] ومثله قوله تعالى:﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ .[7]

فالقرآن: نبأ، وخبر، وقصص، وهو ما لا مراء، ولا جدال فيه، نبأ عظيم الشأن.

---

(١) سورة سبأ، آية (٧).

(٢) سورة سبأ، آية (٣).

(٣) سورة سبأ، آية (٨).

(٤) سورة ص، الآيتان (٦٧، ٦٨).

(٥) تفسير ابن كثير ٤/٤٦.

(٦) المصدر السابق ٤/٤٦.

(٧) سورة النبأ، الآيتان (١، ٢).

ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.(١)

أي: صدق ما جاء به القرآن الكريم.

يقول صاحب الظلال:

«وإنه لأمر أعظم بكثير من ظاهره القريب، إنه أمر من أمر الله في هذا الوجود كله، إنه قدر من قدر الله في نظام هذا الوجود، ليس منفصلًا، ولا بعيدًا عن شأن السماوات والأرض، وشأن الماضي السحيق، والمستقبل البعيد.

ولقد جاء هذا النبأ العظيم؛ ليتجاوز قريشًا في مكة، والعرب في الجزيرة، ليؤثر في مستقبل البشرية كلها، في جميع أعصارها وأقطارها، ويكيف مصائرها، منذ نزوله إلى الأرض، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد نزل في أوانه المقدر له؛ ليؤدي دوره في هذا الوقت الذي قدره الله له.

ولقد حول خط سير البشرية، إلى الطريق الذي خطته يد القدرة، بهذا النبأ العظيم، سواء في ذلك من آمن به، ومن صد عنه، ومن جاهد معه، ومن قاومه، ولم يمر بالبشرية في تاريخها كله حادث أو نبأ، ترك فيها من الآثار ما تركه هذا النبأ العظيم.

لقد جاء هذا النبأ؛ ليغير وجه الأرض، ويوجه سير التاريخ، ويحقق قدر الله في مصير هذه الحياة، ويؤثر في ضمير البشرية، وفي واقعها، وأنه ماض كذلك إلى يوم القيامة، يؤدي دوره في توجيه أقدار الناس، وأقدار الحياة".(٢)

فمتى يعي المسلمون هذا، ويعودون إلى كتاب ربهم؛ ليحكمونه في شؤونهم كلها: الكثير، والقليل؟ متى يكون هذا الكتاب دستورهم في عصرهم هذا؟ حتى يعودوا لسابق عهدهم. يمدنون الدنيا، ويهذبون العالم، ويقررون الحق للبشرية كلها ... متى يتم هذا؟ إنا لمنتظرون ...

---

(١) سورة ص، الآيتان (٨٧، ٨٨).

(٢) راجع في ظلال القرآن، لسيد قطب ٧ /١٠٨ بتصرف.

السادس: يأتي، بمعنى: العذاب.

قال الله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[١].

أي: العذاب الذي سيقع بهم.

ومثله، قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.[٢]

أي يأتيهم عاقبة ما كذبوا أو الذي استهزءوا به.

وهو تهديد مضمر مجمل مهول، وفي التعبير سخرية تناسب استهزاءهم بالوعيد.

﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. [٣]

سيأتيهم أخبار العذاب، الذي يستهزؤون به، وهم لن يتلقوا أخبارًا، إنما سيذوقون العذاب ذاته، ويصبحون هم أخبارًا فيه، يتناقل الناس ما حل بهم منه، ولكنهم يستهزؤون، فيستهزأ بهم مع التهديد القريب.

وإذا كانت هذه بعض المعاني، التي جاءت في كتاب الله – تعالى – وبعض الوجوه عن الأنباء.

فإنه يطيب لنا أن نقسم الأنباء – حسب مصدرها – الذي جاءت منه.

(١) سورة الأنعام، آية (٥).

(٢) سورة الشعراء، آية (٦).

(٣) سورة الشعراء، آية (٦).

أقسام الأنباء عن طريق المصدر

يرى علماء التفسير أن الأنباء، تنقسم إلى قسمين – بحسب مصادرها – والمنابع التي تستقى منه:

الأول: ما يكون يقينيًا، صادقًا، عاريًا عن الكذب، كأخبار الله – عز وجل – وأخبار رسوله ﷺ. والأخبار المتواترة — أيضا –.

من ذلك قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.[1]

والقصُّ: الإخبار بأمر يسرد، لا بكلام يروى، شيئًا فشيئًا؛ لأن تلك المخاطبة ليست بقصص، وقوله تعالى: ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ أي: يسرناهم للعمل الصالح، والانقطاع إلى الله – عز وجل – ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا.

ولهذا يقول الإمام الألوسي، عند تفسيره لهذه الآية: « أي: نقصُّ قصصًا ملتبسًا بالحق، أو نقصُّه، ملتبسين به، أو نقصُّ نبأهم، متلبسًا به، أو نبأهم الملتبس به»[2].

وهذا القسم من الأنباء، قد ثبت بالأدلة العقلية والنقلية، التي توجب تصديقها، والتسليم بها، والانقياد لها، وعدم التعدي عليها، أو التفريط فيها؛ لأن المدار فيها على الوحي، المنزل من حكيم عليم.

والمبلغ له، الصادق الأمين، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

وكذلك الأخبار المتواترة، التي جاءت عن جمع، عرفوا بالصدق، والأمانة.

ولقد خُصَّت الأمة الإسلامية، بالأسانيد، والمحافظة عليها، حفظًا للوارد من دينها، عن رسول الله ﷺ، وليست هذه الميزة، عند أحد من الأمم السابقة.[3]

---

(١) سورة الكهف، آية (١٣).

(٢) راجع الألوسي ٢١٦/١٥.

(٣) راجع الملل والنحل، لابن حزم ٨١/٢- ٨٤.

ومثله، قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. (١)

أخرج الإمام البخاري، في صحيحه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: نحن معاشر الأنبياء إخوة، لعلَّات، ديننا واحد". (٢)

يعني بذلك: التوحيد الذي بعث الله به كل رسول، أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.(٤)

وأما الشرائع، فمختلفة في الأوامر والنواهي؛ فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حرامًا، ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس، وخفيفًا؛ فيزداد في الشدة في هذه دون هذه.

وذلك لما له – تعالى – في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، قال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، قوله: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾.(٥)

يقول: سبيلًا، وسننًا، والسنن مختلفة، هي في التوراة: شريعة، وفي الإنجيل: شريعة، وفي الفرقان: شريعة يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه.

والدين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد".(٦)

ولهذا نجد الأنبياء جميعًا، كانت دعوتهم إلى التوحيد الخالص.

---

(١) سورة المائدة، آية (٤٨).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، ٤٨ ، ومسلم في الفضائل ١٤٣، وأبو داود في السنة ١٣.

(٣) سورة الأنبياء، آية (٢٥).

(٤) سورة النحل، آية (٣٦).

(٥) سورة المائدة، آية (٤٨).

(٦) راجع تفسير ابن كثير ٧١/٢ بتصرف.

نوح – عليه السلام – يقول لقومه: "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره".

وصالح – عليه السلام – يقول لقومه: "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره".

وهود – عليه السلام – يقول لقومه: "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره".

وكذا كل الأنبياء، وكل الرسل.

وأما القسم الثاني: فهو الذي لا يعلم صدقه، أو كذبه، إلا بعد التثبت والتوقف، مثاله: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.(١)

وللعلماء في هذا القسم من الأنباء قولان:

الأول: أنه يجب التوقف فيه، حتى يثبت الأمر وتتبين الحقيقة، كما قصَّ الله – تعالى – عن واقعة الهدهد، مع نبي الله سليمان – عليه السلام –: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾.(٢)

عندها لم يقبل سليمان – عليه السلام – مقولة الهدهد، قضية مسلَّمة، أو خبرًا صادقًا، ولكنه قال: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾.(٣)

إنه هدهد عجيب، صاحب إدراك، وذكاء، وإيمان، وبراعة في عرض النبأ، ويقظة إلى طبيعة موقفه، وتلميح، وإيماء أريب، فهو يدرك أن هذه ملكة، وأن هؤلاء رعية، ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله، ويدرك أن السجود، لا يكون إلا لله، الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض، وأنه هو رب العرش العظيم.

---

(١) سورة الحجرات، آية (٦).

(٢) سورة النمل، آية (٢٢).

(٣) سورة النمل، آية (٢٧).

ومع هذا كله، رأى سليمان – عليه السلام – أنه لابد من التثبت، والتيقن في قبول النبأ، الذي جاء به.

ومثاله: ما رواه البخاري في الصحيح، عن المسور بن مخرمة، حين استشار عمر الناس، في إملاص[1] المرأة – وهي التي يضرب بطنها، فتلقي جنينها – فقال المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه –: "شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة عبد، أو أمة.

فقال عمر: "ائتني بمن يشهد معك".

قال: "فشهد له محمد بن مسلمة"، وفي رواية: "فقال: لا تبرح حتى تأتي بالمخرج من ذلك".

يقول المغيرة: "فخرجت، فوجدت محمد بن مسلمة، فجئت به فشهد".[2]

ويقول المراغي عند تناوله لهذه الآية: أي: قال له سليمان: "سنختبر مقالك، ونتعرف على حقيقة خبرك بالامتحان، أصادق أنت فيما تقول أم كاذب فيه لتتخلص من الوعيد؟. [3]

الرأي الثاني:

أنه لا يتوقف في قبول النبأ؛ لأن التبين والتثبت مقيد بكون الناقل فاسقًا، فإذا انتفى القيد فلا حرج.

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بالآية، على وجوب العمل بخبر الواحد، إذا كان عدلًا من حيث أن الله – تعالى– أوجب التوقف في خبر الفاسق، فدلَّ على أن خبر العدل، لا يجب التوقف فيه.

نقول ذلك؛ لأن الأصل في الجماعة الإسلامية، أن يكون أفرادها موضع ثقتها، وأن تكون أنباءهم مصدقة، مأخوذ بها.

---

(١) الإملاص: السقط، أي: إسقاطها الجنين.

(٢) الحديث رواه البخاري، في الاعتصام ١٣، ومسلم في القسامة ٣٦ ، وأبو داود في النكاح ١١، والترمذي في الرضاع، ٦، والديات ١٥، وأحمد بن حنبل، في المسند ٢/٤٣٨.

(٣) تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي ١٩ / ١٣٤.

أما الفاسق، فهو موضع الشك، حتى يثبت صدق خبره، وبذلك يستقيم أمر الجماعة، وسطًا بين الأخذ والرفض، لما يصل إليها من أنباء.

وأما أصحاب القول الأول، فيرون أن في الآية: دلالة على أن خبر الواحد، لا يوجب العلم، ولا العمل؛ لأن المعنى: إن جاءكم من لا تأمنون أن يكون خبره كاذبًا، فتوقفوا فيه، وهذا التعليل موجود، في خبر من يجوز كونه كاذبًا في خبره.

ويترتب على هذين القولين: إما قبول النبأ والإيمان به وإذاعته، وإما الإمساك عنه ورده، وعدم التحدث به، وإذا كان الأمر كذلك، فهل هناك فرق بين النبأ والخبر، أو أن كل خبر هو نبأ؟.

الفرق بين النبأ والخبر

يقول صاحب الفروق اللغوية: "إن النبأ لا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر، ويجوز أن يكون المخبر بما يعلمه، وبما لا يعلمه".

ولهذا يقال : تخبرني عن نفسي، ولا يقال: تنبئني عن نفسي، وكذلك تقول: تخبرني عما عندي، ولا تقول: تنبئني عما عندي.

قال الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾. (١)

وإنما استهزؤوا به؛ لأنهم لم يعلموا حقيقته، ولو علموا ذلك لتوقوه ، يعني: العذاب الذي يحل بهم، وقال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ﴾.(٢) ، كان النبي ﷺ لا يعرف شيئًا منها.

وقال علي بن عيسى: (٣) "في النبأ، معنى عظيم الشأن، وكذلك أخذ منه صفة النبي ﷺ".

---

(١) سورة الأنعام آية (٥).

(٢) سورة هود آية (١٠٠).

(٣) هو علي بن عيسى بن الفرج، عالم بالعربية، له تصانيف في النحو، له كتاب في البديع، وشرح الإيضاح، لأبي علي الفارسي، والتنبيه على خطأ ابن جني، توفي عام ٤٢٠هـ. تاريخ العلماء النحويين للتنوخي ص ٢٠.

وقال أبو هلال العسكري: "ولهذا يقال سيكون لفلان نبأ، ولا يقال خبر".[١]

وقال الزجاج في قوله تعالى:﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

"أنباؤه : تأويله، والمعنى: سيعلمون ما يؤول إليه استهزاؤهم".

قلنا : "وإنما يطلق عليه هذا لما فيه من عظم الشأن".

قال أبو هلال: "والأنباء عن الشيء – أيضًا – قد يكون بغير حمل النبأ عنه".

تقول: هذا الأمر ينبئ بكذا، ولا تقول: يخبر بكذا؛ لأن الإخبار لا يكون إلا بحمل الخبر.

ويقول صاحب المفردات: "النبأ: خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم، أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل: نبأ، حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة". [٢]

ولهذا يقال : إن بينهما عموم وخصوص.

ومن هنا قال صاحب البصائر : « الخبر – بالضم – العلم بالشيء قال الله تعالى :﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [٣]

ويقال : صدَّق الخبرُ الخَبر. ويقال لأخبرن خبرك أي لأعلمن علمك"[٤].

ويقول الرجل للرجل إذا توعده : لأنبئنك ولأعرفنك. ونبأته أبلغ من أنبأته ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [٥].

ولم يقل أنباني، بل عدل إلى: نبأ، الذي هو أبلغ؛ تنبيهًا على تحقيقه، وكونه من قبل الله تعالى.

وإذا كان الأمر كذلك، فيطيب لنا أن نتعرف على الأسس والقواعد، التي يجب أن يتمسك بها المجتمع الإسلامي، حالة تلقيه للأنباء

---

(١) راجع الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري ص ٢٩.

(٢) راجع مفردات غريب القرآن، للأصفهاني ص ٤٨١.

(٣) سورة الكهف، آية (٦٨).

(٤) راجع بصائر ذوي التمييز ٥٢٣/٢.

(٥) سورة التحريم، آية (٣).

ضوابط تلقي الأنباء في المجتمع الإسلامي

المجتمع الإسلام نظيف اليد والقلب، طاهر الظاهر والباطن، أبعد ما يكون عن أمراض القلب: من الحقد، والغل، والحسد، والتجسس، والغيبة، والنميمة؛ لأنه أنس بحب الله تعالى، يقول الله – سبحانه – في محكم كتابه عن أفراد هذا المجتمع: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا ﴾.(١)

وطاهر الظاهر: لأنهم يتطهرون خمس مرات في اليوم، عن عقبة بن عامر الجهني – رضي الله عنه– قال: "كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتي أرعاها، فروحتها بعشي، فأدركت رسول الله ﷺ قائمًا يحدث الناس، وأدركت من قوله: "ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة".

فقلت: "ما أجود هذا؟" فإذا قائل بين يدي، يقول: "التي قبلها أجود".

فنظرت، فإذا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: "إني قد رأيتك قد جئت آنفًا".

قال: قال رسول الله ﷺ : "ما منكم من أحد يتوضأ، فيبلغ الوضوء، أو يسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء" (٢).

فالمسلمون في المجتمع الإسلامي، يطهرون أجسادهم بالماء؛ فلا تمرض، ويطهرون أرواحهم بالصلاة؛ فلا تنحرف. (٣) قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.(٤)

---

(١) سورة الحجر، آية (٤٧).

(٢) رواه مسلم ٣٤، في الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، وأبو داود ١٩٩، ١٧٠ في الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا توضأ، والترمذي رقم ٥٥ في الطهارة، باب ما يقال بعد الوضوء، والنسائي ١/ ٩٢ ، ٩٣ في الطهارة، باب القول بعد الفراغ من الوضوء.

(٣) منهج القرآن في تربية الرجال، لعبد الرحمن عميرة ص ١١٥.

(٤) سورة العنكبوت، آية (٤٥).

ويطهرون أموالهم بالزكاة؛ فلا تنقص، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾. (١)

وفي المجتمع الإسلامي الرفيع الكريم، يعيش الناس آمنين على أنفسهم، وعلى بيوتهم، آمنين على أسرارهم، وعوراتهم، فالناس على ظواهرهم، وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم، وليس لأحد أن يظن، أو يتوقع، أو حتى يعرف أنهم يزاولون في الخفاء مخالفة ما، فيتجسس عليهم ليضبطهم، وكل ماله أن يأخذهم بالجريمة عند وقوعها، وانكشافها، مع الضمانات الأخرى.

قال أبو داود: "حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، قال:

أتى ابن مسعود فقيل له: "هذا فلان تقطر لحيته خمرًا!".

فقال عبد الله: "إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به".(٢)

وعن مجاهد: "لا تجسسوا، وخذوا ما ظهر لكم، ودعوا ما ستر الله".

وروى الإمام أحمد بإسناده، عن دجين - كاتب عقبة - قال: قلت لعقبة: "إن لنا جيرانا يشربون الخمر، وأنا داعٍ لهم الشرط، فيأخذونهم، قال: لا تفعل، ولكن عظهم. قال: ففعل فلم ينتهوا".

قال : فجاءه دجين، فقال: "إني قد نهيتهم فلم ينتهوا، وإني داع لهم الشُّرط فيأخذونهم".

فقال له عقبة : ويحك لا تفعل؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موؤودة من قبرها". (٣)

---

(١) سورة التوبة، آية (١٠٣).

(٢) رواه أبو داود، بسنده، عن زيد بن وهب.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد، في المسند ٤/١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، (حلبي).

وإذا كان هذا في التجسس، فإن المجتمع الإسلامي، يأخذ نفسه بالبعد عن الغيبة، وتوابعها، التزامًا بقول الله – تعالى -: ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.(١)

ويسري هذا النص في المجتمع الإسلامي، فيتحول إلى سياج حول كرامة الناس وأعراضهم، أن تمس، أو أن يُنال منها.

وفي الحديث الذي رواه أبو داود بسنده، عن أبي هريرة، قال: قيل: "يا رسول الله، ما الغيبة؟" قال ﷺ: "ذكرك أخاك بما يكره".

قال: "أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟".

قال ﷺ: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته".(٢)

وروى أبو داود، بإسناده عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "لما عرج بي، مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم، وصدورهم. قلت: "مَن هؤلاء يا جبريل؟"

قال: "هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم". (٣)

وإذا كانت هذه صفات مجتمع المسلمين، مجتمع الترابط والتعاطف، مجتمع الإيمان والتقوى، فما موقف هذا المجتمع من تلقي الأنباء؟.

نرى أن القرآن الكريم، قد حسم هذه القضية، بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ

---

(١) سورة الحجرات، آية (١٢).

(٢) الحديث أخرجه أبو داود، في كتاب الأدب ٤٠ باب الغيبة ٤٨٧٤ بسنده، عن أبي هريرة، أنه قال: "يا رسول الله، ما الغيبة؟ .... وذكره، وأخرجه الإمام مسـلم، في كتاب البر، حديث ٢٥٨٩ في تحريم الغيبة، والترمذي في البر، حديث ١٩٣٥ باب في الغيبة، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، ونسبه المنذري للنسائي.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود، في كتاب الأدب، برقم ٤٨٧٨ بسنده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:... وذكره.

فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾.(١)

ومعنى الآية: {إن جاءكم فاسق} الذي يخرج عن طاعة الله إلى معصيته، والفسق أعم من الكفر، ويقع على كثير الذنب وقليله، ومن هنا كان الكافر فاسقًا؛ لإخلاله ما ألزمه العقل، واقتضته الفطرة السليمة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.(٣)

وقوله: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾. (٤)

فإذا جاء لجماعة المسلمين، من خرج عن طاعة الله إلى معصيته بنبأ عظيم يترتب عليه إزهاق أرواح، أو إيغار صدور المؤمنين، أو ما فيه تفرقة بين صفوفهم.

فالواجب على هذه الجماعة، أن تتبين حقيقة النبأ، وأن تتثبت من صدقه، وأن تتريث عند الأخذ به، حتى لا تندم على ما فعلت، أو أن تأخذ الناس بغير ما فعلوا، أو أن تعاقب من لا يستحق العقاب.

عندها سيكونون كأصحاب الحديقة، الذين أعماهم الطمع والجشع عن التثبت: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾. (٥)

ولقد صدق الرسول ﷺ في قوله: "التثبت من الله والعجلة من الشيطان". (٦)

---

(١) سورة الحجرات، آية (٦).

(٢) سورة النور، آية (٥٥).

(٣) سورة المائدة، آية (٤٧) .

(٤) سورة السجدة، آية (١٨).

(٥) سورة القلم، الآيتان (٣١ – ٣٢).

(٦) رواه ابن أبي شيبة، وأبو يعلي، وابن منيع، والحارث، عن أنس، رفعه، وأخرجه البيهقي، عنه – أيضًا – وله شواهد عند الترمذي، وقال: "حسن غريب" بلفظ: "الأناة من الله، والعجلة من الشيطان" ، والعسكري، عن سهل بن سعد، رفعه، بلفظ: "الأناة من الله، والعجلة من الشيطان". راجع كشف الخفاء ٣٥٠/١.

التثبت يكون القاعدة الصلبة للمجتمع الإسلامي، إذا لجأ إلى الله – سبحانه وتعالى – وعكف على مائدة القرآن الكريم، يستلهمه الخير والسداد، إذا فر المجتمع إلى الله — تعالى – استجابة لقوله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [1]ولجأ إلى كتابه، يستفتيه في كل ما يعن له في رحلة الحياة القصيرة.

قال تعالى عن هذا الكتاب: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾. [2]

وقال تعالى — أيضًا –: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.[3]

يثبتهم بالتريث والصبر؛ حتى لا يستعملهم الشيطان جنودًا له، يثبتهم بالربط على قلوبهم، فلا يتبعوا أهواءهم، يثبتهم عندما ينزل بهم العظيم من الأمور، ويثبتهم عندما يريدون تنظيم حياتهم، أو يعدون العدة لحماية ثغورهم، قال الله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾.[4]

يربط على القلوب المؤمنة، فلا تطير شعاعًا من هول المعركة، ويثبت أقدام المجاهدين، وقلوبهم، فلا تلوي عنانها عن الميدان هاربة.

ولن يتم هذا التثبت، إلا إذا كان المجتمع الإسلامي، يحتكم إلى كتاب الله – تعالى – في العظيم، والجليل، من أموره، والصغير، والقليل من شؤون حياته.

أما إذا ابتعد المسلمون عن هذا الكتاب، وجعلوه وراءهم ظهريًّا، فلا شك أن الشيطان يوسوس لهم، يستعجلهم في إشعال الحرب فيشعلونها، وهم ليسوا لها بأهل؛ فتكون الهزيمة الماحقة، والخسارة الفادحة، ثم يكتوون في النهاية بنارها.

ويطالبهم الشيطان باستعجال أمور دنياهم، فيتبعونه فيما دعاهم إليه، عندها تنبهم أمامهم السبل، وتغلق في وجوههم المسالك، ويلفهم ليل داج ليس له آخر.

يحدث هذا لاتباعهم طريق الشيطان، وانصرافهم عن الصراط المستقيم.

---

(١) سورة الذاريات، آية (٥٠).

(٢) سورة الفرقان، آية (٣٢).

(٣) سورة النحل، آية (١٠٢).

(٤) سورة الأنفال، آية (١١).

ولهذا قال الله – تعالى –: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.[١]

من هنا قال رسول الله ﷺ: "التأني من الله، والعجلة من الشيطان".

وللمزي في تهذيبه، في ترجمة محمد بن موسى، عن مشيخة من فوقه مرسلًا، أن النبي ﷺ قال: "الأناة في كل شيء، إلا في ثلاث: إذا صيح يا خيل الله اركبي، وإذا نودي بالصلاة، وإذا كانت الجنازة"[٢].

وسبب نزول الآية، كما يرويها الحاكم بن عبد الله، بسنده عن الحارث بن ضرار، يقول: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فدخلت، وأقررت، ودعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، فقلت: "يا رسول الله، أرجع إلى قومي، فادعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فترسل لإبَّانِ [٣]كذا وكذا، لآتيك بما جمعت من زكاة.

فلما جمع الحارث بن ضرار، ممن استجاب له، وبلغ الإبَّان الذي أراد أن يبعث إليه رسول الله ﷺ، احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله. فدعا سروات [٤] قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد وقَّت لي وقتا؛ ليرسل إليَّ ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة، فانطلقوا فنأتي رسول الله.

وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة، إلى الحارث؛ ليقبض ما كان عنده، مما جمع من الزكاة فما أن سار الوليد، حتى بلغ إلى بعض الطريق، فرق فرجع. [٥]

فقال يا رسول الله: إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي.

---

(١) سورة محمد، آية (٧).

(٢) راجع كشف الخفاء ٣٥٠/١.

(٣) أبان: الوقت المحدد ، أو الوعد.

(٤) سروات القوم : عظماؤهم، وأهل الرأي فيهم.

(٥) أسباب نزول القرآن ص ٤١٣ للواحدي، وسيرة ابن هشام ٣٤٠/٣.

فضرب رسول الله، البعث إلى الحارث.

وأقبل الحارث بأصحابه، فاستقبل البعث، وقد فصل من المدينة، فلقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث. فلما غشيهم، قال لهم: إلى من بُعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا : إن رسول الله ﷺ كان قد بعث إليك الوليد بن عقبة [1]، فرجع إليه ، فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله.

قال: لا والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق ما رأيته، ولا أتاني.

فما أن دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: لا والذي بعثك بالحق، ما رأيت رسولك، ولا أتاني، ولا أقبلت، إلا حين احتبس علي رسولك؛ خشية أن يكون سخط من الله ورسوله.

قال: فنزلت في الحجرات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾. [2]

(١) والده عقبة بن أبي معيط، أحد الذين كان لهم دور كبير في الصد عن دين الله، وتعذيب المستضعفين، وإيذاء الرسول ﷺ بالقول والفعل، وقع أسيرًا في غزوة بدر، فأمر الرسول ﷺ بقتله ، فقال عقبة: أتقتلني يا محمد من بين قريش؟ قال: لأنك يهودي من أصل صفورية. أسلم الوليد عند فتح مكة ، عين واليًا على الكوفة، فعاش كما يعيش الملوك حتى كان يوم وهو يصلي بالمسلمين صلاة الصبح، وكأنه كان قد شرب خمرًا فصلى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أأزيدكم؟ . فأمر عثمان - رضي الله عنه – بجلده وعزله عن الولاية ، ثم مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما -. راجع : الإصابة ٦/٦١٤ .

(٢) سورة الحجرات، آية (٦)

الآداب المستقاة من قوله تعالى: ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ ﴾

هناك آداب كثيرة، وحكم بليغة، تتضمنها هذه الآية الكريمة، ويطيب لنا أن نحصرها في آداب أربعة:

الأدب الأول:

الأمر لجماعة المسلمين، بالتثبت في الأمور، والتبصر في حقيقة الأنباء، التي تتردد في مجتمعاتهم، أو عند قبولهم الأخبار، التي تأتي من خارج بلادهم؛ حتى لا يندم المسلمون على شيء فعلوه بجهالة، وبدون علم أو دراية، مما يكون في العادة، نتيجة للتسرع وعدم التريث.

وفي تلك الواقعة التي حدثت في عهد الرسول ﷺ، تأدب المسلمون بهذا الأدب الرفيع، من ضبط النفس، والتحسس، والتبصر، لما وصل إلى أسماعهم؛ ولولا ذلك لحدث ما لم تحمد عقباه من الهجوم على جماعة مسلمة، يؤمنون بالله، ويصدقون برسوله، وتتحرق نفوسهم، شوقًا لملاقاته، وتقديم زكاة أموالهم إليه؛ ليكون لهم بذلك المثوبة الحسنة، والأجر الكبير، من تزكية أموالهم، وتطهير نفوسهم.

إنهم الجماعة الأولى الذين نزل عليهم الوحي، وتلقته أسماعهم مباشرة، من شفاة الرسول ﷺ، فصنع منهم سادة وقادة، مدَّنوا الدنيا، وهذبوا العالم، وقرروا الحق للإنسان، ومن أجل ذلك كانوا دائمًا تحت سمع الله وبصره.

قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.(١)

الأدب الثاني:

النهي عن تتبع عورات الآخرين، أو التحدث بقول لا يعلم صدقه من كذبه، أو بناء أحكام على خبر لا تيقن منه.

---

(١) سورة الفتح، آية (١٨).

ولذلك يقول الله – سبحانه وتعالى –:﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾.[١]

ففي هذه الآية ينهاهم الله – سبحانه وتعالى –:

أولًا: عن إصدار الأحكام، أو اتخاذ القرارات بناء على الظن.

ثانيًا: النهي عن التجسس، وتتبع عورات الآخرين، وكشف سترهم.

ثالثًا: عدم الغيبة، والبعد عن نهش الأعراض.

نهاهم عن الظن؛ لأن الظن أكذب الحديث، كما قال رسول الله ﷺ، والظن تهمة للآخرين بلا سبب يوجبه، ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة: قوله تعالى:﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء، ويريد أن يتجسس، حتى يتحقق من إلصاق هذه التهمة، فنهى النبي ﷺ عن ذلك.

وذلك إذا كان المظنون به، ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونس منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به ولذلك قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن الله حرم على المسلم دمه، وعرضه، وأن يظن به السوء". [٢] والظن في الشرع قسمان: محمود، ومذموم.

فالمحمود: ما سلم معه دين الظان والمظنون به عند بلوغه، بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾.[٤]

وقوله تعالى: ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾.[٥]

---

(١) سورة الحجرات، آية (١٢).

(٢) الحديث رواه أبو داود في الآداب.

(٣) سورة الحجرات، آية (١٢)

(٤) سورة النور، آية (١٢).

(٥) سورة الفتح، آية (١٢).

وقال الرسول ﷺ: "إذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ وإذا تطيرت فامض "[1].

والمذموم ما كان ضد ذلك".

ثانيًا: النهي عن التجسس، وتتبع عورات الآخرين.

يقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو داود، عن معاوية: "إنك إن تتبعت عورات الناس، أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم".[2]

فقال أبو الدرداء: "كلمة سمعها معاوية – رضي الله عنه – من رسول الله ﷺ، نفعه الله – تعالى– بها.

وعن المقدام بن معدي كرب، عن أبي أمامة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: "إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم".

وعن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: " يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإن من اتبع عوراتهم، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته، يفضحه في بيته". [3]

وقال عبد الرحمن بن عوف: "حرست ليلة مع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بالمدينة، إذ تبين لنا سراج في بيت، بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة، ولغط.

فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شُرَّب، فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه، قال الله – تعالى-: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾، وقد تجسسنا، فانصرف عمر وتركهم".

وقال زيد بن أسلم: "خرج عمر، وعبد الرحمن يعسان، إذ تبينت لهم نار، فاستأذنا، ففتح الباب، فإذا رجل وامرأة تغني، وعلى يد الرجل قدح.

---

(١) أخرجه أبو داود، في الآداب.

(٢) عزاه القرطبي إلى أبي داود، عن معاوية – رضي الله عنه-.

(٣) راجع القرطبي، عند تفسيره لهذه الآيات ٣٣٢/١٦ ، ٣٣٣.

فقال عمر: وأنت بهذا يا فلان؟

فقال: وأنت بهذا يا أمير المؤمنين؟

قال عمر: فمن هذه منك؟

قال: زوجتي.

قال: فما في هذا القدح؟

قال: ماء زلال.

ثم قال الرجل: ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين، قال تعالى: {ولا تجسسوا}. قال عمر: صدقت".

وقال عمرو بن دينار: "كان رجل من أهل المدينة، له أخت، فاشتكت، فكان يعودها، فماتت فدفنها، فكان هو الذي نزل في قبرها، فسقط من كمه كيس، فيه دنانير، فاستعان ببعض أهله، فأحضروا له الكيس.

ثم عنَّ له أن ينزل في قبرها؛ ليرى ما آل إليه حال أخته، فكشف عنها، فإذا القبر مشتعل نارًا. فجاء إلى أمه، فقال: أخبريني ما كان عمل أختي؟ فقالت له أمه: قد ماتت أختك، فما سؤالك عن عملها؟ فلم يزل بها حتى قالت له: كان من عملها، أنها كانت تؤخر الصلاة عن مواقيتها، وكانت إذا نام الجيران، قامت إلى بيوتهم، فألقمت أذنها أبوابهم، فتتجسس عليهم، ثم تفشي أسرارهم.

فقال: بهذا هلكت" (١)

ثالثًا: البعد عن الغيبة، ونهش الأعراض.

قال الحسن – رحمه الله –: "الغيبة ثلاثة أوجه، كلها في كتاب الله – تعالى–: الغيبة، والإفك، والبهتان.

فأما الغيبة: فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه.

(١) راجع تفسير القرطبي ١٦/٣٣٤.

وأما الإفك: فأن تقول فيه ما بلغك عنه.

وأما البهتان: فأن تقول فيه ما ليس فيه".

وعن شعبة، قال لي معاوية بن قرة: "لو مر بك رجل أقطع، فقلتَ: هذا أقطع، كان ذلك غيبة".

قال شعبة: فذكرته لأبي إسحاق، فقال: صدق معاوية.

وروى أبو هريرة – رضي الله عنه – أن الأسلمي ماعزًا جاء إلى النبي ﷺ فشهد على نفسه بالزنا، فرجمه رسول الله ﷺ، فسمع نبي الله ﷺ رجلين من أصحابه، يقول أحدهما للآخر: "انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسكت رسول الله عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار، شائل برجله.

فقال: أين فلان، وفلان؟

فقالا: نحن ذا يا رسول الله؟

قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار.

فقالا: يا نبي الله ومن يأكل من هذا؟

قال – عليه الصلاة والسلام –: فما نلتما من عرض أخيكما، أشد من الأكل منه، والذي نفسي بيده، إنه الآن في أنهار الجنة، ينغمس فيها".(١)

بهذه الآداب العالية، والتوجهات السليمة، نشأ المجتمع الإسلامي الأول، الذي لا نظير له في المجتمعات الأخرى.

مجتمع تأدب بأدب القرآن، وتتلمذ في مدرسة النبوة، فكانوا نماذج فذة فريدة، يعجز أن تتكرر مرة أخرى، إلا إذا عاد المسلمون إلى كتاب ربهم، يستلهمونه العظة والعبرة، ويعبّون من آدابه وتوجيهاته، عندها يفرح المسلمون بنصر الله، ويتحقق ما أمر الله به، بأن نكون حقًّا وصدقًا،

---

(١) راجع المصدر السابق ١٦/٣٣٥.

خلفاء له في أرضه، ونتيه فرحًا وغبطة، بوصف الله – تعالى– لنا في قوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.(١)

الأدب الثالث:

أمر من الله – سبحانه وتعالى– لجماعة المسلمين، إذا خرجوا في سبيل الله، داعين إليه، عاملين لإعلاء كلمة التوحيد، أن يكونوا هداة، ودعاة إلى الله الواحد الأحد، فإذا سمعوا كلمة لا إله إلا الله، قبلوها ممن نطق بها، وحكموا عليه بظاهر حاله، وتركوا سريرته إلى علام الغيوب.

يقول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾. (٢)

روى الإمام مسلم بسنده، عن أسامة بن زيد، قال: "بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات(٣) من جهينة، فأدركت رجلًا، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك. فذكرته للنبي ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله، وقتلته؟!

قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح.

قال: أفلا شققت عن قلبه، حتى تعلم أقالها أم لا؟

قال: فما زال يكررها علي، حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ.

قال: فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلمًا.

(١) سورة الفرقان، الآيتان (٦٣، ٦٤).

(٢) سورة النساء، آية (٩٤).

(٣) أي: أتيناهم صباحًا، والحرقات: موضع ببلاد جهينة.

قال رجل: ألم يقل الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[1] فقال سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا، حتى تكون فتنة"[2].

وقوله تعالى: {فتبينوا}، أي: تأملوا، وتثبتوا، وفي هذا أوكد؛ لأن الإنسان قد يتثبت، ولا يتبين، والتبين والتثبت، واجب حضرًا وسفرًا، ولا خلاف فيه، وإنما خص بالسفر؛ لأن الحادثة التي فيها الآية وقعت في السفر.

ولقد ذكرت كلمة: {فتبينوا} في الآية مرتين، وهذا أمر من الله - سبحانه وتعالى — مؤكد، حتى لا يقضي في الأمور برأي خطير، أو بخاطرة عجلة، أملاها الشيطان، ووسوس بها، ولقد حذرنا الله - سبحانه وتعالى - من ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.[3]

وقال - أيضًا - جل جلاله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[4]

الأدب الرابع:

عدم التحدث بكل ما يسمعه الإنسان، وما يتبع ذلك من تشهير، وإذاعة للأنباء، صحت أولم تصح، صدقت أو لم تصدق.

وحقيقة التشهير: إذاعة السوء عن شخص، أو طائفة، وهو في الحقيقة داخل في دائرة الغيبة والبهتان، وكلاهما أذية، وقائلهما لا يتأدب بأدب الرسول ﷺ في قوله: «أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم»، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [5].

---

(١) سورة الأنفال، آية (٣٩).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم، في كتاب الإيمان ١٥٨(٩٦) بسنده، عن أسامة بن زيد: قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم - .... وذكره.

(٣) سورة البقرة، آية (٢٠٨).

(٤) سورة النساء، آية (٨٣).

(٥) سورة الأحزاب، آية (٥٨).

وهذا المشهر به، إن كان بريئا فالتشهير به إفك، وبهتان عظيم، كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾. (١)

وقال – أيضًا –: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾.(٢)

وقد يكون المشهر به غير مجاهر بفسقه، فالتشهير به محرم، ومن المقرر شرعًا أن الستر على المسلم واجب، لمن ليس معروفًا بالفساد، قال ﷺ: "من ستر مسلمًا، ستره الله – عز وجل – يوم القيامة". (٣)

فإذا كان مجاهرًا بفسقه، وفيه يقول الإمام أحمد: "إذا كان الرجل معلنًا بفسقه، فليس له غيبة"؛ لقول رسول الله: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من الإجهار أن يعمل العبد عملًا بالليل، ثم يصبح، وقد ستر الله عليه، فيقول: يا فلان، عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره الله – عز وجل – ويكشف ستر الله – عز وجل – عليه». (٤)

ومع ذلك، وكما قال القرافي، في كتابه الفروق: «سألت جماعة من المحدثين والعلماء، الراسخين في العلم، عمن يروي قوله، ولا غيبة لفاسق».

فقالوا لي: "لم يصح، ولا يجوز التفكه بعرض الفاسق، فاعلم ذلك".(٥)

إذن، هؤلاء الذين يغتبطون بإذاعة الأخبار، وتضيق نفوسهم ذرعًا بكتمها، فتراهم يتشدقون بما يعلمون، وما لا يعلمون، غير مبالين بصحة النقل، ولا عدالة الناقل، ولا الخوف من الله تعالى.

---

(١) سورة النور، آية (١٢).

(٢) سورة النور، آية (١٦).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في المظالم ٣ ومسلم في البر والصلة ٥٨، ٧٢ وأبو داود في الأدب ٣٨، والترمذي في الحدود ٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٢: ٩١، ٢٥٢، ٢٩٦،(حلبي).

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري، في كتاب الأدب ٦٠، ومسلم في كتاب الزهد ٨ باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه ٥٢(٢٩٩٠) بسنده عن أبي هريرة – رضي الله عنه – يقول: سمعت رسول الله ﷺ ... وذكره.

(٥) راجع الفروق ٤/ ٢٠٨.

هؤلاء أمرهم الله – سبحانه وتعالى – أن يتأدبوا بأدب القرآن، وأن يتبعوا سنة نبيه ﷺ، وحتى يكبحوا جماح نفوسهم، ولا يستمعون لوسوسة شياطينهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.(١)

يقول الشوكاني: "كانوا إذا سمعوا شيئًا من أمر المسلمين فيه أمن، نحو: ظفر المسلمين، وقتل عدوهم، أو فيه خوف، نحو: هزيمة المسلمين، وقتلهم، أفشوه، وهم يظنون أنهم لا شيء عليهم في ذلك، ولو ردوا ذلك الخبر إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأولي الأمر منهم (أهل العلم، والعقول الراجحة، الذين يرجعون إليهم في أمورهم) لعلمه الذين يستخرجونه بتدبيرهم، وصحة عقولهم.

يعني: أنهم لو تركوا الإذاعة للأخبار، حتى يكون النبي ﷺ هو الذي يذيعها، أو يكون أولو الأمر منهم هم الذين يتلون ذلك؛ لأنهم هم الذين يعلمون ما ينبغي أن يفشي، وما ينبغي أن يكتم. ثم قال: وقيل: إن هؤلاء الضعفة كانوا يسمعون إرجافات المنافقين على المسلمين فيذيعونها فتحصل بذلك المفسدة". (٢)

ويقول صاحب الفتوحات: "وهذا ظاهر في إشاعة الخبر بالهزيمة، وأما إشاعة الخبر بالنصر والظفر، فلا يظهر فيه الضعف، وإنما يتبادر منه فرح المؤمنين، والاعتزاز بقوتهم". (٣)

---

(١) سورة النساء، آية (٨٣).

(٢) فتح القدير للشوكاني ١/٤٩١.

(٣) الفتوحات الإلهية ١/ ٤٠٥.

ولقد وصفت السنة النبوية، أولئك الثرثارون الذين يتحدثون بكل ما يسمعوه، بدون قيد أو شرط، وقبل التحري والضبط بصفة تنافي الإيمان الكامل، ألا وهي صفة الكذب، حيث يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع". (١)

فمتى يتخلص المجتمع الإسلامي من هؤلاء الثرثارين المتفيهقين، الذين يلقون القول على عواهنه؟

متى يتخلص المجتمع الإسلامي من الذين يغتابون الآخرين، وينهشون أعراض المؤمنين الصابرين؟

متى يتخلص المجتمع من هذا الزيف، الذي جاءنا من وراء الحدود والسدود، ففرق جمعنا، وشتت كلمتنا، وجعل بأسنا بيننا شديد، ولكن علينا بالصبر، والتثبت، وكما قيل: "لا يسلم شجي من خلي".

يقول ابن حزم – رحمه الله –: «والعقل والراحة، في إطراح المبالاة بكلام الناس، والاهتمام بكلام الخالق – عز وجل –؛ لأن من قدر أن يسلم من طعن الناس وعيبهم، فهو مجنون(٢)، والعاقل: من يلتزم بتعاليم ربه، حتى يأتي أجله، وقديمًا قال أبو العلاء:

إذا عير الطائي بالبخل ما در ... وعيرقسًا بالفهاهة باقل

وقال السهى للشمس أنتِ ضئيلة ... وقال الدجى للصبح لونكَ حائل

وطاولت الأرض السماء سفاهة ... وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

فيا موت زر إن الحياة ذميمة ... ويا نفس جدي إن دهرك هازل(٣)

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في المقدمة ٣ باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ..... وذكره .

(٢) راجع كتاب الأخلاق والسير، لابن حزم الأندلسي ص ١٧.

(٣) راجع الديوان ٢/ ١٢٠.

خاتمة

إن الباحث في كتاب الله – تعالى – والمتصفح لأقوال العلماء من المفسرين، في كل عصر ومصر، تهوله كثرة الآراء، وتأخذ بلبه عمق الاستنباطات، والمعالجات لآيات القرآن الكريم، والتي لا شك أنها كانت مناسبة لحياة الأمم والأفراد في تلك الظروف التي قيلت فيها.

ولا شك أنها نظمت لهم شئونهم العامة والخاصة، ووضعت الحلول العملية لمشكلاتهم، ولكننا عندما نفكر في عصرنا الراهن، وما جد فيه من تطورات خارقة في عالم المادة، نرى أن الواجب على المسلمين، أن يعودوا إلى كتاب الله – تعالى — مباشرة، يستلهمون آياته في تنظيم حياتهم، وتقعيد أمورهم، والوصول من خلالها إلى الدواء الناجح، لكل ما يعن لهم من عوائق ومشكلات.

وهذا – والحق يقال – ما قصدنا إليه عند إعدادنا لهذا البحث، آملين من الله – تعالى – أن يكون شمعة على الطريق، تبدد بعض ما تعانيه الأمة الإسلامية، من سدف الظلام الشاملة، وما نحسه من حيرة للعقول، والتي لا ندري ما تأتي، وما تدع من أمورها.

وإذا كنا قد تناولنا حقيقة الأنباء، في منهج القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والتي تكتنف حياة المجتمعات الإسلامية، فلم يغب عن ذهننا – عند إعدادنا لهذا البحث – ما للشائعات من أخطار جسيمة، في تفتيت ترابط المجتمع، وتمزيق وحدته، وهل الشائعة إلا نبأ مصطنع، يريد به مَن في قلوبهم مرض تدمير المجتمع، وحل عراه؟؟

إن الشائعة التي لازمت حادثة الإفك في صدر الإسلام، أوشكت أن تشعل حربًا بين الأخوة المتحابين، الذين وصفهم الله – تعالى — بالفلاح، والبعد عن لغو الحديث، بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[١] ولم ينته ما بينهم من تشاحن وتلاحم، حتى استمعوا إلى صوت الوحي، يستل من صدورهم ما ران

(١) سورة المؤمنون، الآيات (١–٣).

عليها، من غبش الجاهلية، بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾.(١)

إن الشائعة يمكن أن تموت في مهدها، لو أن السامع أو السامعة لها تأدبا بأدب الله – تعالى – وخاطب نفسه، ومن حوله قائلًا: ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾.

إن التحدث بالشائعة، أو ما يسميه القرآن بالنبأ الكاذب، غول مدمر، يدعو إلى خداع الناس، وبلبلة أفكارهم، وإثارة الشكوك، والريب في مجتمعاتهم.

ولا شك أن الشائعة تعمل عن طريق، وسوسة الشيطان إلى فقدان ثقة الأفراد بأنفسهم، وحكوماتهم، وهذا بلاء كبير.

وفضلًا عن هذا، تعمل الشائعة على نشر الفتن، وتحريك الضغائن، بين الطوائف والطبقات، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.(٢)

يقول ابن عاشور في معرض تفسيره لهذه الآية: "ومن أدب هذه الآية أن شأن المؤمن، أن لا يحب لإخوانه المؤمنين، إلا ما يحب لنفسه، فكما أنه لا يحب أن يشيع عن نفسه خبر سوء، كذلك يجب عليه أن لا يحب إشاعة السوء عن إخوانه المؤمنين، ولشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين بالصدق أو بالكذب، مفسدة أخلاقية، فإن مما يزع الناس عن المفاسد تهيبهم وقوعها وتجهمهم وكراهتهم سوء سمعتها، وذلك مما يصرف تفكيرهم عن تذكرها، بله الإقدام عليها، رويدًا رويدًا، حتى تنسى، وتنمحي صورها من النفوس، فإذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش، تذكرتها الخواطر وخف وقع خبرها على الأسماع، فلا تلبس النفوس الخبيثة أن تقدم على اقترافها، وبمقدار تكرر وقوعها، وتكرار الحديث عنها تصير متداولة".

---

(١) سورة النور، الآية (١٦).

(٢) سورة النور، الآية (١٩).

هذا إلى ما في إشاعة الفاحشة، من لحاق الأذى، والضر بالناس، ضرًّا متفاوت المقدار، على تفاوت الأخبار، في الصدق والكذب.

ولهذا ذيل هذا الأدب الجليل، بقوله: {والله يعلم وأنتم لا تعلمون}، أي: يعلم ما في ذلك من المفاسد، فيعظكم؛ لتجتنبوا، وأنتم لا تعلمون: فتحسبون التحدث بذلك لا يترتب عليه ضر، وهذا كقوله: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾.(١)

وبعد،

نرجو من الله – تعالى– أن يكون هذا العمل خالصًا لله – تعالى– وأن ينفع به المسلمين، وأن يجعلهم على الجادة، إنه سميع قريب مجيب الدعوات ...

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾.(٢)

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور ١٨/ ١٨٥.

(٢) سورة آل عمران، آية (٨).

ثبت المراجع

- الأخلاق والسير لابن حزم ، تحقيق: محمود مهنا ، ط. دار الشعب ، القاهرة.

- أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط ثانية ١٤٠٤ هـ، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، حقق أصوله، وضبط أعلامه، ووضع فهارسه: علي البجاوي، ط. نهضة مصر، القاهرة.

- الإكفار والتشهير (ضوابط ومحاذير) لعبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، من سلسلة رسائل ودراسات في منهج أهل السنة، ط. دار الوطن للنشر، الرياض.

- بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق: محمد على النجار، ط المكتبة العلمية ، بيروت.

- تفسير ابن كثير، علق حواشيه، وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف، صححه، وأشرف عليه: محمد الصديق، ط أولى سنة ١٣٨٨ هـ، الفجالة الجديدة، القاهرة.

- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، ط. الدار التونسية للنشر، تونس.

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- سنن ابن ماجه، تصوير: (دار الدعوة) سنة ١٤٠١ هـ، تركيا.

- سنن أبي داود، تصوير: (دار الدعوة) سنة ١٤٠١ هـ، تركيا.

- السنن الكبرى، للبيهقي ، ط أولى ١٣٤٤ هـ، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- سنن الترمذي، تصوير: (دار الدعوة) تركيا ١٤٠١ هـ

- السيرة النبوية، لابن هشام، حققها، وضبطها، وشرحها، ووضع فهارسها: مصطفى السقا وآخرون، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

- صحيح البخاري، تصوير: (دار الدعوة) تركيا ١٤٠١ هـ.

- صحيح مسلم، تصوير: (دار الدعوة) تركيا ١٤٠١ هـ.

- فتح القدير، للشوكاني، نشر: محفوظ العلي، بيروت.

- الفتوحات الإلهية، لسليمان العجيلي، الشهير بالجمل، ط. عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

- الفروق، للقرافي، نقلًا عن كتاب: "الإكفار والتشهير، ضوابط ومحاذير، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ضبطه، وحققه: حسام الدين القدسي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤ هـ.

- الفِصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، ط. دار عكاظ للنشر والتوزيع، جدة ١٠٢ هـ.

- في ظلال القرآن، لسيد قطب، ط تاسعة، دار الشروق، بيروت ١٤٠٠ هـ.

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، أشرف على طبعه، وتصحيحه، والتعليق عليه: أحمد القلاش، نشر وتوزيع: دار التراث، القاهرة.

- لسان العرب، لابن منظور، تصوير: دار صادر، بيروت.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، ط. إدارة المساحة العسكرية، القاهرة ١٤٠٤ هـ.

- المصنف، لابن أبي شيبة، حققه، وصححه: عبد الخالق الأفغانى، ط. ثانية ١٣٩٩هـ. الناشر: الدار السلفية، الهند.

- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق، وضبط: محمد سيد كيلاني، ط دار المعرف، بيروت.

منهج القرآن في تربية الرجال، لعبد الرحمن عميرة، ط ثانية ١٤٠٦ هـ، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان.

فهرس الموضوعات الموضوع

الموضوع **رقم الصفحة**

١- مقدمة ....
٢ - الأنباء في ضوء القرآن والسنة ....
أ) تعريف النبأ في اللغة ....
ب) تعريف النبأ في الاصطلاح ....
٣- معاني النبأ في كتاب الله تعالى...................................
١) النبأ بمعنى العلم...
٢) النبأ بمعنى التأويل ....
٣) النبأ بمعنى الخبر ....
٤) النبأ بمعنى التهكم والسخرية ....
٥) النبأ بمعنى القرآن الكريم ....
٦) النبأ بمعنى العذاب ....
٤ - أقسام النبأ عن طريق المصدر ....
أ) يكون يقينيًا صادقًا...
ب) لا يعلم صدقه من كذبه ....
٥ - الفرق بين النبأ والخبر ....
٦- ضوابط تلقي الأنباء في المجتمع الإسلامي ....

٧- الآداب المستقاة من قوله تعالى:﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾...........

٨-خاتمة ....

٩-ثبت بالمراجع...

١٠- فهرس الموضوعات ....